ابن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله
تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا
قد شركناك فيه واخذنا حظا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد
شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال معاذ الله ان نشرك به غيره
قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من
ربي فانزل الله هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد
وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم ثم قراها على رؤوسهم حتى فرغ
من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه وفي مناداتهم
بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان
بانه محروس منهم وهذا علم من اعلام النبوة فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
في التحريم يا ايها الذين كفروا وهنا قال قل يا ايها الكافرون اجيب بانه
في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال
الواسطة ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره
تعالى بلفظ الماضي واما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول
رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون اي الذين قد حكم بثباتهم
على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما نزل عليه عقولهم عن الاعتقاد
الحق لوجوده وهم من الناس المخاطبون كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته
على الكفر بما طابقه من الواقع ورد لعلمه التعبير بالوصف دون الفعل
واستغرقت اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وفي كل
زمان ونحو التعبير بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة
اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذه
فيحما بانه صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا ايها الكافرون
لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالرفق واللين في جميع الامور كما

قال

قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم كان مامورا
بان يدعوهم الى الله تعالى بالوجه الاحسن فلما خاطبهم بيا ايها الكافرون
يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور
بهذا الكلام لا اني ذكرته من عند نفسي ولما كان المقصد اعلامهم
بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال
لا اعبد اي الان ما تعبدون من دون الله من المعبودات الظاهرة
والباطنة بوجه من وجوه العبادة في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة
بوجه ولا انتم عابدون اي الان ما اعبد وهو الله وحده ولا انا عابد
اي في الاستقبال ما عبدتم من دون الله سبحانه وتعالى ولا انتم
عابدون اي في الاستقبال ما اعبد وهو الله وحده لا شريك له وهذا
خطاب لمن علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله تعالى
على جهة المقابلة وبعد ازال التكرار كما قال اكثر اهل المعاني هو ان
القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم
التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة
التخفيف والايجاز فالقائل بالتاكيد يقول قوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فبأي
الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة
بضعة مني وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار
بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وعلى الاول قد تقيدت
كل جملة بزمان غير الزمان الاخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف يقيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادته لما يعبدون بزمان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)